

# تأملات تحت سقف الزنزانة

الشاهد والمشهود



الكاتب والمعتقل الإسلامي السابق  
زكرياء بوغرارة



# بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

1435 هـ 2014 م



جداریات سجونیة

کتبه:

زکریاء بوغرارة

## جداريات سجونية

أنوح على نفسي أم أنتظر الصفحا؟  
فقد آن أن تنسى الذنوب وأن تمحي

فها أنا في ليل من القهر دائم  
ولا ينتهي حتى أرى للرضا صباحا

قبل البدء

عندما نكتب عن مواطننا في العتمة؛  
فلا يسعنا إلا ان ننحني انحناءة الاحترام  
لهادم الأسوار

أكتب عن العتمة لأعري واقع زيننا

## المقدمة

أكتب لأسلط الضوء على الجانب المظلم من مرحلة الفراغ والاستثناء والعتمة؛ حتى يعرفها الناس، ويعافوا مخلفاتها وإفرازاتها النتنة، ومهندسيها المأفونين....  
الجلاد لا يستحق أي احترام؛ إنه الوجه الآخر للإجرام بأقنعة مختلفة..  
أكتب لأعري واقع الزيف الممتد اللامتناهي، وهي تعرية متواصلة لصناع فرجة  
"تمارة المعتقل"؛ فرجة بلون القهر والمأساة...  
أكتب لأعري قهرنا وتفاهتنا وتهالكنا في مهاوي القمع السحيقة.  
أكتب بلون،،، آخر للمقاومة...

عندما تحول الوطن كله إلى معتقل تمارة السري....  
لن تكفينا آلاف الكتابات للتعرية؛ حتى نصنع منها لافتة ضخمة هائلة، تنبه لخطر  
وجود ذلك المعتقل المأفون بيننا....

هي خواطري كتبها في العتمة، عن العتمة وما حولها.  
أعيد نشرها؛ ليطل الملأ من الناس على بعض أفكارنا هناك، وقد انتفضت حية.

زكرياء بوغرارة

وجدة خريف ٢٠١٤

## التأملات

١

فاضت روح عبد الحق مول الصباط، رفرفت عاليًا، تغلغت كالتائر المحلق في غمار السحب.

لا يزال نظري عالقا باتجاه السراب.

لقد قتلوه..

٢

قال بعض الأدباء: إذا نطقت فاحسب كلماتك وجلها، وابن مقاصدها، ولا تجعلها حمالة أوجه، ولا تنطق بما قد يساء فهمه ويستشكل ويحتاج إلى شرح وتوضيح؛ فإن الخصم لا يذكر لك تأويلا، وإن كان في قلبه مرض قلب قولك ووجهه كيف يشاء... هناك في الظلام؛ عانينا من مرضى من نوع خاص، يقلبون الكلمات كفعل الساحر!

ما أكثر مرضى القلوب داخل العتمة!

٣

كتبت في جدار الزنزانة، وأنا في عمق الألم والمرض:

لا تعجب من هالك كيف ثوى، بل اعجب من سالم كيف نجا

ها أنا ذا الهالك والناجي، الميت والحي، الحر والأسير.

٤

معتقل تمارة في وجداني دائماً وأبداً، إنه كزورة الطيف في غرة الظلام.

٥

في العتمة؛ عانينا طويلاً من عقليات متحجرة، لها عقول كأنها ثلاجات بأذهان جامدة.

٦



في العتمة؛ تعددت أمراضنا كما تعددت منابت التماسيح، تلك المنابت التي لا يتعايش فيها التمساح الذكر إلا مع أنثى من فصيلته.. حتى التمساح الأنثى إن لم تكن من فصيلته يكون مصيرها الموت.

٧

في المعتقل؛ انقسمنا إلى أصناف شتى؛ صنف من عقال السلفية الجهادية، وصنف آخر من جهالها.. حتى داخل العتمة؛ هناك شمال جنوب، فقير وغني، سيد وعبد، تابع ومتبوع، أمر ومأمور، وهناك في العتمة ذوو الجلود الداكنة، ومن هم من فصيلة تلك الجلود الخاملة...

٨

كان الصحابة رضوان الله عليهم يسير الاثنان منهما في الطريق، فتفصل بينهما أثناء المسير شجرة، فيعودان فيسلم أحدهما على الآخر شوقا إليه من تلك اللحظة التي فصلت بينهما في الطريق...  
يا لها من قمم سامقة!

٩

الحرية ستظل أملا جميلا يراود النفوس الأبية، ذات القامة الباسقة والهمة السامقة.

١٠

تساءلت في مربع العتمة عن كبيرهم الذي علمهم القهر؛ من أي بطن خرج هذا  
الذجال؟؟

لا جواب سوى السراب، في عمارة المتاهة؛ هي السيد المطاع.. ها هم الجلاوزة  
كأصنام متحركة، أو روم بهلوانية، تثير السخرية والشفقة، بل إنهم يستحيلون أحيانا  
إلى أعواد من خشب... قابلة للاشتعال... في أي لحظة؛ لتصنع عالة من الحرائق،  
كل واحد منهم كعود ثقاب الشرر، يتطاير من العيون الضيقة المغولية ونار الحقد،  
كمرجل يغلي ونار تتأجج.....

١١

حقيقة المعركة التي يخوضها الغرباء في الأرض؛ أنها هي حقيقة "لا إله إلا الله"، بكل  
مقتضياتها وتجلياتها الكبرى.

١٢

عندما زجوا بي في مقبرة معتقل تمارة السري؛ وجدت نفسي أردد في جوف القبو  
الكائن تحت الأرض..  
ورائحة الموت تزكم الأنوف!

لن تجدي عطور الورد والود في هذه المقابر والمزابل الرهيبة؛ لتزيل عنها العفن  
والأنتان.

١٣

بعد أن وصلت سراديب السجون؛ غدوت معتقلا في جلدي!  
السجن يسكنني إلى الأبد!

١٤

نحن نمارس الكتابة فوق جماجم قهرنا، نرسم المعاناة الإنسانية التي نحيها في  
الأقبية، إنها موعلة في الرفض للجلاد وإدانتته...  
في تمارة الشاهد والمشهود؛ تصبح الكتابة لونا آخر من الاعتراف.

١٥

قصصنا في أقبية السجون؛ إنها مكتوبة في أعماقنا، هي حفريات من الحزن، نكتبت بالدم والصديد، والقيح والقهر، والعذابات المريرة.

١٦

الجلاد الحقيق؛ له أنياب غول، وظلف خنزير، ينفخ فتخرج من فمه نيران تشعل الحرائق في النفوس وفي الأمكنة.  
عشقه الأبدي: الدم والهدم.

١٧

أن نحيا حياة إسلامية؛ إنه الحلم المشتبه الذي نفني أعمارنا لأجله، ونفديه بأرواحنا وحرماننا، ونبذل لأجله دماءنا..

١٨

القلوب الغافية الغافلة؛ تتلقى الكلام عن العقيدة والمبادئ وهي وسنانة، فيكون في حسها كرجع الصدى؛ مبهما غير واضح النبرات، ولا مفهوم العبارات والإشارات.

في العتمة؛ لعبة التداخل بين الأشياء هي بداية هشاشة الذاكرة ونهاية الذكريات.

الحب قشرة موز ليس بيننا من لم ينزلق فوقها.  
إنه انزلاق لا ينبغي أن يدوم.

الأمل في القلوب؛ هو الذي يضيء الشعاب الموصلة إلى القمة السامقة، البعيدة عن  
مستنقعات البؤس والذل والهوان.

في العزلة استثمار للعقل؛ وذلك بالتأمل والتفكر والتدبر، وفيها قطف وجني الفكرة  
والعبرة والفائدة.

وهي راحة للقلب من مماتلة الثقلاء ومخالفة الجهلاء.

٢٣

ما من مكان آمن في كوكبنا، ما دمنا نحمل منافينا الداخلية معنا، أينما كنا أو سرنا  
واتجهنا.

السجن يسكننا، والمنفى منا كالهواء والماء والأشياء النفيسة والتافهة.

٢٤

الكتابة: هي مرادفة للمعتقل؛ لأنها الطريق السيار السريع جدا للوصول إلى معتقل  
تمارة السري.....

إنها مرادفة للاغتيال، أو محاولة اغتيال الإرادة والفكرة.

وهي لون مقاومة دائما وأبدا

لمن تحرر من العبودية للطغاة!

٢٥

في المعتقل؛ قد تكون على مشارف الجنون عندما تدرك أنك وحدك ترى وتسمع أو تشم ما لا يحس به سواك، فأنت إذاً على حافة الجنون، أو غارق في حلم كئيب لا فكاك منه.

حقيقة

معتقل تمارة السري كآبة الدنيا وإحباطها.

٢٦

قالت والدمع بعينيها:

قد ينتج أعظم خير من أعظم شر،  
كما ينتج أعظم شر من أعظم خير.

٢٧

الظلم: هو طابع الجاهلية التي يشرع فيها البشر للبشر، بدلا من أن يتحاكم البشر كلهم إلى شريعة الله رب العالمين.

٢٨

في المعتقل؛ الشيخوخة أدركتني؛ لم أعد أذكر شيئاً.. ذاكرتي أصبحت كبيت  
العنكبوت.. إنها أوهن البيوت.. فيما بعد؛ تبين لي أن كل من مر بالعتمة: وهنت منه  
الذاكرة.

٢٩

المرأة بإمكانها أن ترفع من شأن الرجل عالياً، وهي قادرة أيضاً أن تمرغه في الرغام  
والتراب.

ذكر المرأة في المعتقلات: يعني الموت بلون آخر!

٣٠

تمارة المعتقل

هي صوت القهر فينا، ينكأ زمن الجمر، ويفضح ما تحت الرماد.. يذكرنا قسوة  
جلادينا، ويعتصر قلوبنا كموجات البحر الهادر، وهو يثور غضباً وعنفاً.

٣١

عندما يغادر الجلاد هذا الوطن: يتنفس الناس الهواء النظيف.



ويتنفس الصبح وطناً.

٣٢

دخلنا السجون؛ لأننا طلاب حرية.

الحرية لنا..

إذًا؛ لا بد من العتمة للمرور إلى حرية أبدية.

٣٣

إن قبضة الجلادين تتلاشى، بل إنها تتهاوى؛ لقد كاد الصنم ينكسر، قد كسرناه في

قلوبنا اليوم، وسنكسره مع أصنامه غداً فوق أرضنا؛ لننال حريتنا.

الحرية لنا!

٣٤

يقول دانتى: فكر أن هذا اليوم لن ينبثق ثانية.

من أجل ذلك: ينبغي أن يظل هذا اليوم حياً في وجداناتنا وبأعماقنا.

يظل حياً بما نضع فيه من أحداث صادقة.

إن الكلمات مهما كانت تمتلك من الصدق؛ فإنها لن تستطيع أن تحقق شيئاً في أرض الواقع حتى تتحول الكلمات إلى أفكار، والأفكار إلى حركة بين الناس، وأن تحتل من الإنسان مكانة القلب؛ إيماناً بها، وتضحية من أجلها. حينها تتحول الكلمات الميتة في الأوراق المنزوية في بطون الكتب؛ إلى أفكار حية تحيي موات الناس.

إنهم يريدون بقاء معتقل تمارة السري: أن يظل الصمت حياً!  
أيها الظالمون؛ الصمت لن يحيا!

ولو كان ذلك آخر عمل للأحرار في الدنيا.

في العتمة؛ أصبح الناس عندي بمثابة أهل القبور؛ لا يملكون لنا نفعا ولا ضرا، ارتفع جدار الصمت بيننا وإلى الأبد.

وجدار النسيان والقهر.

نبش في جدار المعتقل، وجدته بعد أن دخلت المنفردة رقم واحد، أو الشلاجة كما كنا نسميها.

"أرادوا بنا شرا فسجنونا ظلما، وأراد الله بنا خيرا فجمعنا".

رحم الله من خطها فوق جدار أخرس.

السجن أداة للتفتيت البطيء للإرادة وللصمود وللمعنويات، ولكافة مفردات الثبات على المبادئ؛ إنه يفتتها كما يفتت البارود صلب الصخور.

السجن: مقاومة دائمة، أو انكسار حتمي.

أترك الكتابة عندما أحس بالتعب والملل، وعندما تصفو نفسي أعود للكتابة من جديد.. أكتب عندما تنفعل نفسي بمواقف شتى، أحس أنها تمتلئ إلى درجة لا أجد معها وسيلة إلا أن أمسك القلم وأكتب.  
القلم وحده هو الطريق الوحيد للبوح، للشهادة في منعطف الشهود الجهادي الاستشهادي الكبير.

1

حتى داخل جلدي: مبادئ هي وطني، ومكاني الأصلي والوحيد.

2

ما زلت أقاوم منافي المتعددة؛ أنا في منفي العتمة، منفي في نفسي.  
السجن والعتمة يسكناني كالمنافي والاعتراب.  
لحظة الوحشة أبددها بالرحيل إلى الركن الشديد.

3

رغم الأسر والانفرادية والأقبية؛ ما زلت مجبرا على امتصاص نفاق الناس، ومداراة  
سخرتهم وحقدهم المجاني الدفين، ولكن إلى متى...؟؟ سيظل السجن حاضرا في  
وجداني.

٤٤

الهيمة كانت كالحمض الأكال؛ يأكل العقيدة في النفوس، ويدمرها إلى الأبد.

٤٥

عند الرومان الإغريقين مقولة مشهورة: يحق لكل إنسان أن يجن مرة، وأريد أن أجن  
هذه المرة وأخاطب الجلاد:  
أيها الجلاد الحقيقير؛ احمل حقيبتك وارحل بعيدا، ولكن فورا إلى جهنم.

٤٦

نحتاج العينات الصلبة المستميتة في القتال، بروح جهادية إسلامية خالصة وعالية، لا  
يريدون بذلك جزاء ولا شكورا.  
بهم نتصر ونسود ونعلو.

٤٧

القيم والعقائد: هي وحدها الموحدة للأشخاص والجماعات.

العقيدة: هي المزاج الحقيقي، والحاضنة الحقيقية.

٤٨

العقيدة عندما تستقر في النفوس؛ فلن يصيبها يومئذ ما يقتلع جذورها بعد أن تثبت وتستقر.

٤٩

الخوف؛ ذلك الكائن الذي لا يمكن السيطرة عليه؛ لصعوبة معرفته، وسهولة مروره إلى القلب كمرور الهواء للرئة.  
هزمتنا الجلاذ عندما حاول السيطرة على الجسد.  
فبث فينا الخوف.

إن سنن الله في الكون والحياة لا تحابي أحدا مهما كان.  
كلمات كانت أبلغ رد لمن ردد أثناء بداية محنتنا في السجون أننا على أبواب ظهور  
المهدي وفتنة الدجال..

كأن دخولنا للسجون وحده يحتاج لمعجزة خارقة تقع لنخرج من عتماته.

## ٥1

أسامة بن لادن؛ رحمك الله أيها النبيل، يا جبلا أشم!  
نعم الدليل كنت..

لقد دللتنا على طريق الجنة!

هنيئا لك اللحاق بقافلة الشهداء!

## ٥2

لولا شدة الكرب وقوة البلاء؛ لَمَا رجوت دنو ساعة الراحة.

٥3

إن انجاب ليل البلاء؛ فإن العفو قد تم، والتأديب قد انتهى.  
علمتنا التجربة أن البلاء تأديب

من الله تعالى.  
والتأديب لا يدوم.

٥4

متى رأيت معاقبا؛ فاعلم أنها سهام الذنوب فتكت به وأردته مبتلى أو قتيلا.

٥5

عقد رياء القوم في عيني سحابة أظلم لها بصري!  
قاتل الله الرياء؛ كم قصم من الظهور وأحدث من البلاء!



٥٦

الألم بضاعة الضعفاء.

ولكن ألم الاقوياء ألم صامت؛ يمنحهم القوة المضاعفة فلا ينتكسون.

٥٧

ما زلنا نشكو من فقدان الروح الجماعية، وغلبة الروح الفردية الأنانية الضيقة  
البغيضة.

فكيف الطريق إلى الإصلاح  
وإلى الخلاص؟؟؟

٥٨

علينا أن نهتم بما تخفي القشرة الخارجية..  
تحتها اختبأت وتختبئ أمراضنا الكثرى، وكلها أمراض مزمنة وقاتلة.

٥٩

يا وطني! يا أرضي التي ملئت فرعا وخوفا؛ كيف يمكنني الحياة بين جوانحك وقد  
تحول الوطن إلى جلاذ كبير.. الجلاذ هو معتقل تمارة السري، إنه هو الوطن والوطن  
هو ذاك المعتقل اللعين؟؟؟  
هل بمقدور المرء أن يشعر بالسعادة وهو في وطن بين جوانحه معتقل تمارة السري  
والجلاذ كاييلا الملعون؟

٦٠

إن الإنسان يبقى إنسانا، ولعل الحديد لا يحتمل ما يتحملة الإنسان؛ إذ إنه قابل  
للانحناء والكسر، أما الإنسان فلا ينحني ولا ينكسر إلا عندما يسف ويذل.  
في السجن؛ كانت لعبتهم القدرة ترمي لإيصالنا للانكسار في أهون الحالات وأضيق  
الأوقات.

٦١

إن الحلم طريقنا المعبدة إلى المعرفة.

٦٢

الألم الشدة القسوة القهر؛ كلها مفردات نتعلم منها دروس تخطي محنتنا...  
أن نحول الانتكاسة إلى انتصار.  
والسجن بعتماته إلى جنات وروضات.  
ذلك أقصى ما نتمنى!

٦٣

رغم الموت والرهبة والعذاب؛ لم تنطفئ في وجهه تلك الإشراقة الجميلة.. التي غادر  
بها عبد الحق مول الصباط دنيا الظالمين.

٦٤

في المعاريف؛ الوجه الآخر لجحيمننا المغربي قبل أن افتح فمي بكلمة واحدة،  
سمعت المحقق يقول بصلف:  
لسنا في دار غفلووون؟؟

تمنيت أن أسأله بصدق:  
هل حقا لستم في دار غفلوون؟؟؟

أشك....

٦٥

سأكتب عن معتقل تمارة السري؛ لأعري واقع الزيف، وأنتزع عن الجلاذ الأقنعة  
الهشة الزائفة.  
حينها تتهاوى ورقات التوت؛ لتتكشف عورات الظالمين.

٦٦

نبش في جدار المعتقل وجدته بعد أن دخلت المنفردة:

لقد جمعونا هنا؛ ليدفنونا..

من هنا ستنبعث دعوتنا؛ لتحيا بين الناس!

في معتقل تمارة السري؛ يمسخون الضحية بعد عدة أيام من العذاب والألم، وغسيل  
الدماغ، فتستحيل تمثالا، مجرد تمثال؛ يصب فيه صانعه قلبه، فيتحول مثل القالب  
تمثالا سويا متناسقا، حسب الأعضاء، مستوي الخلق، إلا أنه لا روح فيه ولا جمال  
ولا نسمة حياة.  
هناك لا روح ولا جمال.

في البدء؛ أبغضت الجلادين بغض الأرض للدم، وما أزال، وإلى الأبد، أبغض  
الكذبة!  
قال الجلاد: لو سمحت خمسة دقائق ثم تعود!  
كذبة كبرى، تحولت إلى عشر سنوات في الجحيم!  
كانت تمارة الكذبة، وما تزال، وإلى الأبد،  
حتى نستفيق.

تمارة تسكن أعماقي؛ لا أحتاج لأذكر نفسي بضرورة الثأر!

إنني أثار كل يوم بتذكر مأساتنا.

تمارة ستظل في الذاكرة؛ لن تبرحها حتى تغادر الروح الجسد المنكل به!

٧٠

في السجن؛ كتبت بهاجس الاستذكار والعودة إلى المكان الأول، حين تشدنا الأمكنة إلى الذكرى الأليمة؛ حيث كان الاختطاف.

ما زال ذلك اليوم يسكن الأعماق العميقة، ويحتل الجوارح بذكرى جارحة.

٧١

لقد كان من المعروف طيلة الحرب العالمية الثانية، عن تشرشل قائد هذه الحرب المنتصر؛ أنه كان يختلي بنفسه على شاطئ البحر المتوسط؛ ليرسم لوحات لهذا البحر وما حوله من مناظر جميلة.

بينما الحرب كلها تقع في قلبه وعلى شواطئه.

ولكن تشرشل يقول إنه انتصر على هتلر بالرسم قبل الدبابات؛ لأن هدوء أعصابه الذي اكتسبه من فترات الاسترخاء والرسم: مكنه من حسن تنظيم قواته.

فكرة جميلة ينبغي أن نؤسلمها بمفهوم اللون الآخر.

٧٢

النقد الذاتي الذي ينبغي أن نخضع له تجربتنا السجونية؛ هو عرض الأمراض الحركية الطارئة علينا؛ حتى لا تتكرر في تجارب الآخرين.. وهو عرض دقيق للأمراض المزمنة وليس هو المرض؛ لأننا أمام تجربة لا بد أن تدرس، ومنهج لا بد أن يخلو من الأمراض والمطبات.

٧٣

في المعتقل؛ وجدت حالات مرضية شتى تخيلتها كما هي في مخيالي؛ جسدا مريضا مصابا بشتى الأمراض وبعسر الهضم؛ ذلك أن الجسد المصاب به يصاب بحالة تسمم، لا يستطيع معها الامتصاص، بل إنه يلفظ كل شيء في جوفه، فإذا بقي منه شيء تحول إلى سموم قاتلة، هذه السموم الفتاكة هي كل ما تبقى لنا في العتمة!

الدعاة الصادقون، وأصحاب المبادئ والمنهج القويم؛ لا يبالون أن يسميهم القوم  
خونة أو جهلة أو مارقة.

الطريق التي نمضي فيها، ونبذل لأجلها الغالي والنفيس؛ هي التي تكشف القامات  
المترهلة والعملاقة.

الدماء والتضحيات؛ هما مصداقية الدعوة، وصدق الرسالة.

كانوا يريقون الدم فوق قيودي، كنت أكبر بقوة وعمق، تدافعوا نحوي؛ يركلون  
يرفسون ويضربون ..

وأنا لا أنفك عن التكبير بقوة عاصفة، وهم يرددون: نحن كفار؟؟

وأنا أصيح: الله أكبر! الله أكبر!



الجلاد داخل المعتقل كان يؤدي ما يطلب منه آلياً، لم يكن يحس بالتقزز أو الغثيان وهو يعيش في هذا الحقل الرهيب؛ من حقول الموت والألغام والدماء ودبقها،

لا ضير أنه استمرأ شرب الماء الآسن!

المعتقل: هو وطنه وحببته وكل دنياه!

هناك يشعر أنه موجود!

خارج المعتقل لا يساوي فلساً!

٧٧

لماذا نصر وإلى ما شاء الله أن نكون مجرد حمير؛ تركبنا الصليبية العالمية، ويظل فوق ظهورنا اليهود وأذنا بهم...  
إن الحمار الآدمي هو ذلك الذي خلع عقيدته كما خلع حذاءه، واستعد ليركبه الأسياد من عباد الصليب.

٧٨

داخل المعتقل؛ ارتفع جدار الصمت بين جوانحي، إنني ثاو وراء جدر، هي وحدها من تكسر الأحلام، وتعتقل الأمنيات والآمال.

كل شيء بدأ في معتقل تمارة السري؛ الموت، التعذيب، الانتهاكات، الألم، القسوة.  
 وكل شيء قد انتهى هناك في أعماقي؛  
 بسمتي، فرحتي، أملتي، حتى أحزاني؛  
 لأن كل شيء انتهى في معتقل الموت والكراهية!

الخوف هو الرعب الذي يسكن القلوب، لا بد أن نسارع لدفنه، ونردد: ها قد دفنا  
 الخوف...

بالخوف يهيمن علينا الجلادون، وربما إلى الأبد.  
 يقول أحد الجلادين عن ضحاياه:  
 إنهم لا يحترمون إلا قانوننا واحدا؛ هو الخوف!

السياط خوف تمارة خوف القهر خوف!

بعد استقرارنا في عمق السرداب؛ صاح الكبران، وهو الشاف الكبير القائم بكافة شؤون الزنانة، ويكون عادة من عتاة المجرمين وقدماء رواد السجون؛ كان صوته خشنا جاء كالرعد:  
أطفئوا الضوء!

وسرعان ما غرقت الزنانة في الظلام!  
وساد جو من الهدوء، يقطعه شخير هنا وهناك، وبعض الضراط والضوضاء التي تأتينا من بعيد.

إنها سجون المملكة!

إلى من قضوا سنوات عمرهم في السجون، وهم يصرفون حياتهم أسرى العناوين الزائفة الوهمية، وعبيد الأشخاص والألقاب:

أفيقوا أيها الغافلون!

غابتنا رضا الله تعالى بتجريد الإخلاص له سبحانه، وتحقيق المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم.

٨٣

ليت شعري؛ لو أننا كنا كالشجرة الباسقة تكون في الغابة الشجراء، أطول منها في التربة الجرداء؛ لأنها تكون بين لداتها وأترابها.  
درس حركي؛ لا بد أن نلتفت إليه ونتأمله ملياً.

٨٤

في العتمة أصبحت لدينا عقول معتقلة،  
إنها في سجن مظلم لا تطلع عليه شمس، ولا ينفذ إليها هواء!  
أهم ما يميزها: أنها تقذف الناس بثلاث تهم مبيرة للصد عن الحق؛  
أولاً:  
فلان فتان عميل للمخابرات!  
ثانياً:

مبادرة منهزم متراجع يعمل التقية.

ثالثا:

إنه تكفيري من الغلاة!

٨٥

يجب أن نكبر وتكبر معنا المبادئ والأفكار النبيلة؛ لنصبح مجموعة من القيم تمشي فوق الأرض.

بحرصنا أن تتربى وتنمو وتورق بين وجداناتنا رويدا رويدا ستسود في حياتنا.

أصحاب المبادئ في زمن المساومات؛

هم الأعلون دائما!

٨٦

لا تحتجن علي بأبي فلان وعلان!  
أبو شي حاجة لا أقيم له وزنا ما دام بعيدا عن المشكاة، إنه منهج أبي القاسم صلى  
الله عليه وسلم.

لا تحتجن علي بأسماء الرجال؛

فالحجة رسول الله!

٨٧

في السجن؛ كثر الأنصاص والروبيصات، يتكلمون في كل شيء، ويبدون الآراء  
والمقترحات، ويصطفون في اللجان، ويختارون كأعيان.  
قلت لمحاوري ونحن في العتمة:  
أحسن ما تفعله في هذه اللوثة أن تسكت؛  
لأن الكلام لم يعد يجدي؛ فقد استفحلت الأمراض، واستكن الداء في الأعماق  
العميقة.  
مرض الإيدز تمكن منا في هذه المتاهة.

المحنة العظمى مدائح العوام؛ كم قصمت من الظهور!

يقول ابن الجوزي رحمه الله:

لعمرى إنه وقر في النفوس تعظيم أقوام، فإذا نقل عنهم شيء فسمعه جاهل  
بالشرع: قبله لتعظيمهم في نفسه!

داخل السجون؛ عانينا من تقديس الأشخاص، والانتصار لأفكار الرجال.  
كانت معاناة مع فريق من أذعياء الغزيمة، وفريق آخر من دعاة الهزيمة.  
كلاهما محور فكرهم: قيادات وهم وخيال،  
كرست هاته الحالة من التيه.

تقديسهم في النفوس التي روجت عنهم القصص الخرافية والخيالات،  
فالتف حولهم جهال بالشرع والواقع.

فكان من البديهي أن يحدث تعظيم الأصنام البشرية في القلوب، داخل سجن  
مغلق، ورويدا رويدا استحال السجن الكبير إلى حجيم لا يطاق من الخلافات  
والتطاحنات وتغير الولاءات...

عندما تختل الفطرة، وتنحرف عن استقامتها وصراتها؛ يصيبها الكثير من الأمراض.  
داخل السجون: انحرفت الفطرة فغزتنا الأمراض الحركية القاتلة.

الضحية عندما يسيطر عليه هاجس الخوف: ينتهي سريعا،  
يصبح الخوف ملازما له في كل مكان؛  
فقد تزل قدمه وتبتلعه المجاري العميقة، وربما يخيل إليه أنه يرى جسده مهروسا مع  
عظامه...  
العتمة بيت الداء!



الكلمات معانيها هي أبلغ الأفكار عندما تتحول إلى بناء،  
لا بد أن نحول الكلمات إلى طاقات هائلة من الفاعلية والإيجابية؛ لنمنحها الحياة.

٩٣

يصبح من العبث والسخف: أن نقترف الكلام، ونتكلم ونتكلم، ثم لانفتر عن  
الكلام ولا نفعل شيئاً، ولا نخرج إلى دائرة العمل.  
إن الكلام في هذه الحالات لا يعدو أن يكون استهلاكاً للطاقة الكامنة في النفوس،  
ولن يكون أبداً مولداً لتلك الطاقة الهائلة.

٩٤

أطلقوا سراح الشيخ!  
هكذا ردد أحدهم وهو يكبر في ردهات المعتقل،  
بامتعاض تلقيت هذا المشهد، واسترجعت مقولة لليمبي في ثورة ١٩ بمصر عندما  
قال...

الحل أفرجوا عن سعد وأعيدوه إلى القاهرة!

صدق وهو كذوب؛ أطلقوا سراح الشيخ، وستبدأ الحرب الحقيقية على الإرهاب

من الداخل طبعاً؛

عندما يرتد السلاح إلى الخلف!

٩٥

للإنسان طبيعة غريبة جداً؛ كلمات بسيطة ترفع روحه المعنوية إلى السقف، وتمده بالقوة والعنفوان، وتولد في نفسه المشاعر الطيبة.. كما أن كلمة واحدة تستطيع أن تكدر صفوه أو تحطمه.

٩٦

يا صديقي؛ الجنرال كان يتكدر، وتعلو سيما وجهه الضجر كلما غادر أحد الضحايا معتقل تمارة السري، ولا تبدو بسمته من جديد حتى تمتلأ جنبات المعتقل السري! كانوا يسمونهم الكليان!

أي الزبائن!

٩٧

انتفضت الشعوب؛ فتذكرت كلمات من ذهب:

يعوي الكلب إن أوجعه الضرب!

فلماذا لا ينتفض الشعب؟

قد أوجعه الضرب!

الضرب في السويداء، وتحت الحزام!

إن من يضربون الكلب فيعوي؛ لا بد أن يذهبوا بعد أن ينتفض الشعب الذي هب

وانتصب!

٩٨

من أساليب الجلاوزة في حلقات التعذيب: إجبار الضحية على الوقوف لفترات طويلة، مع وضع كيس في الرأس، ويكون الكيس البلاستيكي كريبه الرائحة جدًّا!!

ومنها الحرمان من النوم لمدة طويلة، مع الحرص أن يكون النوم متقطعاً، ومنها عمليات الشبح؛ وهي ربط اليدين إلى الخلف وقوفاً لساعات ممتدة...

٩٩

في ليالي الإظلام؛ أشعر بحنين جارف للكتابة.. أكتب تحت ضوء خافت، يضاهاى إشعاع شمعة، هكذا هي معظم كتاباتي في العتمة، يتكرر ذلكم في الليلة الواحدة أكثر من مرة؛ أكتب وأرقد، ثم أنهض من النوم؛ لأمارس الكتابة من جديد، ثم أرقد، وهكذا دواليك... كانت العتمة حبلى بالألم!

١٠٠

كان أبو بلال يصيح في معتقل تمارة السري بقوة:  
أحد أحد! أحد أحد!  
دارت الأيام دورتها، التقيت به في السرايب، نظرت لصفحة وجهه الممتلئة بالبراءة والصدق، ابتسمت في وجهه وأنا اذكره بقصة العتمة: أحد أحد!  
كان الخجل يبدو في محياه.  
لله دره وعلى الله أجره.

فك الله أسرك أيها الغريب!

---

كتبت التأمّلات المائة في أقبية السجن المركزي القنيطرة في العام ٢٠١٠